٢٠٣
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الثالثة ـ العدد الخامس (رجب ـ ذي الحجّة ١٤٤٣)

ملامح الصدِّيقة زينب عليها السلام في منظار بعض المصادر الإنجليزيَّة

محمد رضا فخر روحاني[١]

الملخّص

للمستشرقين في مؤلّفاتهم أسلوب و منهج متفاوت فيما يرتبط بالحديث عن الصِّدِّيقة زينب بنت أميرالمؤمنين عليهما السلام. فالبعض منهم اختار الصَّمت تجاهها، مع أنَّهم تحدَّثوا و تحدَّثوا في مسائل فرعيَّة و جزئيَّة غير ذات بال. و بعض آخر تحدَّثوا و كتبوا بإختصار بالغ. و فريق آخر تناولوا جملة مطالب خلطوا فيها الغثَّ و السَّمين، و ذلك بداعي عدم رجوعهم إلَي المصادر الاصليَّة و المعتبرة، أو كان لهم نوايا غير سليمة، فخرج ما أدلوا به طافحاً بالأخطاء .. و في هذا المقال نشير إلَى بعض من هذه الموارد و نتناولها بالنَّقد و التَّقييم.

الإصطلاحات: المستشرقون؛ معرفة الشِّيعة؛ السَّيدة زينب عليها السلام؛ رؤية المستشرقين؛ دائرة المعارف الإسلاميَّة.

١. أستاذ مساعد في جامعة قم.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

طالما كانت الوقائع و الأحداث التَّاريخيَّة تتمحور حول شخص أو شخصين بارزين مهمَّين، فتعرف هذه الوقائع و تتحدَّد بهم، و لكنَّ الواقع هو أنَّ هذا الشَّخص أو الشَّخصين البارزين يعجزان عن فعل شيء ما لم يحاطا و يؤيَّدا من قبل السَّائرين معهما و يضيحوا في إطار ما يدعوان إليه. فتراهما لايستطيعان التَّأثير في الحركة الإجتماعيَّة و التَّاريخيَّة .. و إن أثَّرا؛ فتأثيرهما لا يكاد يذكر.. و لا شكّ أنَّ أحد أكبر المؤثّرين و صنَّاع التَّاريخ و الوقائع التَّاريخيَّة علَي مرِّ القرون و العصور في المجتمع البشري هو من صنع واقعة كربلاء .. فما حصل خلال ساعات معدودة في سنة إحدَى و ستين للهجرة في كربلاء؛ لم يكن مجرد معركة غير متوازنة القوة بين الطرفين، بل إنَّ محصِّلة هذا اليوم العظيم قد تركت كلَّ الأثر الفريد في التَّأريخ و إلىَ الأبد .. فعاشوراء شمس لن تغرب أبداً .. و لاريب في أنَّ الشَّمس السَّاطعة تجسَّدت في شخص و قول و فعل الإمام الحسين عليه السلام؛ الَّذي كان المحور الأوَّل و الأخير في يوم عاشوراء .. و بهذا: لا تجد مهتمًّا بيوم عاشوراء و لا يلتفت بكلِّه إلَى شخص سيَّد الشُّهداء عليه السلام .. أمَّا أصحاب الإمام وكذا مبلِّغو و ناشرو رسالته و حقيقة ما جرىَ في تلك الواقعة؛ فلهم نصيبهم و دورهم الكبير في إحياء أمر النَّهضة الحسينية الخالدة و المشروع الحسيني الكبير..

و إنَّ أحد تلك الشَّخصيَّات الجليلة، بل و أكثرها و أعظمها أثراً و تأثيراً؛ هو شخص مولاتنا الصِّدِّيقة السَّيِّدة زينب بنت علي عليها السلام.. و الدِّراسة الَّتي بين يديك ـ عزيزي القارئ خاصَّة بتقييم و تحقيق مدخِّلين و متوجِّهين إلَى دراسة دور هذه السَّيِّدة العظيمة الوارد في ثلاثة مصادر و كتب إنجليزيَّة ... و قد عنيَ واضع هذه الدِّراسة بمتابعة هذا الموضوع المهمّ، فوجده ضمن ثلاثة كتب و مصادر إنجليزيَّة فيها مدخلاً عن السَّيِّدة زينب عليها السلام، أمَّا بقيَّة موضوعات هذه المصادر؛ فلا علاقة له بهذا الأمر.. و العجيب هو أنَّ مصدراً مثل كتاب (دائرة المعارف الإسلاميَّة) ـ طبعة لايدن الهولنديَّة الثَّانية ـ خالٍ من هذا المدخل الزَّينبي مع إدِّعاء مؤلِّفيه حرصهم علىَ جامعيَّته .. و كذا كتاب (دائرة المعارف الإسلاميَّة الموجزة) الَّذي اكتفىَ بإدراج عبارة قصيرة جداً اوردت في ذيل المدخل المعنون (زينب بنت علي)؛ والعبارة الموجزة هي: (بنت علي و فاطمة) .. هذا

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

في الوقت الَّذي عمدت فيه دائرة المعارف المذكورة إلىَ إيراد مدخل مفصَّل عن بني أميَّة و معاوية بن أبي سفيان و أبي هريرة و حتَّىَ الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي .. علماً أنَّ هذا الأخير ـ و هو لا يقلّ عن سابقيه ـ هو أحد الوجوه و الأشخاص الأشدَّ كراهيَّة و الأكثر تعطّشاً للدِّماء عبر التَّاريخ. و قد صوَّرته هذه الموسوعة و غيرها علىَ أنَّه مدعاة للمباهات في الثَّقافة و الحضارة الإسلاميَّة!

و هكذا؛ لايبقىَ شك في أنَّ هذا (التَّجاهل الأكاديمي) من قبل من يعرفون بالمستشرقين الموقورين و العنصريين .. ليس سوىَ فصل من فصول خطَّة و مؤامرة كبيرة كانت تعتمل في أذهان هؤلاء منذ بداية السُّلطة و السَّيطرة علىَ البلدان المسلمة .. و من المؤسف بمكان؛ أنَّ المجتمع المسلم عموماً قد برزت فيه شخصيَّات لاتحمل من العلم سوىَ الشَّهادة الرَّسميَّة كانت لدىَ حرصها علىَ التَّهريج و الدَّعاية لتلك الوجوه الكالحة الظَّالمة الَّتي مرَّت علىَ السُّلطة في البلاد المسلمة .. كانت تستدلُّ و تحتجُّ في منهجيَّتها الجاهلة المتأمّرة بنصوص و منهجيَّة هؤلاء المستشرقين و ما دبّجوه من مديح و ثناء علَى سلطات و سلاطين الجور السّفاكين للدِّماء و الَّذين كان شغلهم الشَّاغل تحريف الدِّين الإسلاميّ .. و هنا؛ لابدَّ من الإذعان إلىَ أنَّ هذه الموسوعات الثَّقافيَّة يمكن العثور فيها علىَ بعض نصوص الكتاب يحملون الشَّرف و يتمتَّعون بالإنصاف و الأمانة و الدِّقّة العلميَّة المحايدة؛ و قد جهدوا في كشف الحقائق .. و لكنَّهم كانوا يفتقرون إلىَ المقاعد الرَّفيعة و وسائل الإعلام و النَّشر..

و مهما يكن؛ فإنَّ من بين المدخلين المتاحين، ثمَّ مدخل (قاموس المفردات الإسلاميَّة ـ أكسفورد) لسنة ٢٠٠٣ م. هو أقصر.. و قد جاء فيه:

«[السَّيِّدة] زينب [عليها السلام] توفيت سنة ٦٨١ ميلادية ـ ٦٢ قمرية .. كانت تزوَّجت من عبدالله بن جعفر، و له منها ثلاثة بنين و بنت واحدة. كانت بمعيَّة أخيها [الإمام] الحسين [عليه السلام] كان لها دور مهمّ في المحافظة علىَ حياة ابن أخيها [الإمام] علي بن الحسين [عليه السلام] و بسبب تضحيتها و بطولاتها لقِّبت ب بطلة كربلاء».

امَّا المدخل الآخر؛ فمن «دائرة معارف الشَّخصيَّات الدِّينيَّة العالميَّة» لسنة ٢٠٠٤م، و قد كتبت مقالته «السَّيِّدة زينب» والري هافمن .. و قد اقتصرت هذه المقالة علَى عمود و

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

نصف، و وصفت السَّيدة زينب [عليها السلام] بقولها:

سنة ولادتها ٦٣٠ ميلاديَّة تقريباً ـ سنة ١١ قمريَّة. و سنة وفاتها ٦٨٤ ميلاديَّة ـ سنة ٦٥ قمرية. و كتبت عنها صاحبة المقالة: هي حفيدة النَّبي .. و في شهر اكتوبر من سنة ٦٨٠ [محرم ٦١ قمريَّة] وافقت أخاها [الإمام] الحسين [عليه السلام] و أنقذت حياة ابن أخيها [الإمام] علي بن الحسين [عليه السلام] حتَّى تمكَّنت من هذه المهمَّة، كما أنقذت باقي نساء واقعة كربلاء من الخطر.. و قد اضطرَّت الحاكم الأموي في دمشق إلىَ السُّكوت بخطبها النَّارية و البليغة، هذا في الوقت الَّذي سيقت فيه نساء واقعة كربلاء أسيرات إلىَ الشَّام. و لدىَ دخولها بلاد مصر حظيت بإحترام بالغ، و كانت تدافع عن الضّعفاء، و كان حاكم مصر يستشيرها في مختلف الأمور. و المصريُّون يؤمنون بأنَّ [السَّيِّدة] زينب مع أخيها [الإمام] الحسين [عليه السلام] و كذا الفقيه الشَّافعي يحظون بمنزلة رفيعة في العرش. و هم يقضون حاجات المحتاجين .. هذا مع أنَّه جميع المؤرِّخين لايذهبون إلىَ أنّ [السَّيِّدة] زينب [عليها السلام] لم تدخل بلاد مصر، و ذلك أنَّ قبرها قد اكتشفت في القرن السّادس عشر [العاشر القمري] من قبل الشَّعراني الصَّوفي.

و لدىَ التَّحقيق و تقييم المقالتين، ينبغي أن يقال:

أوَّلا: أنَّ المقالتين موجزتان قصيرتان، و أنَّ الأولىَ أقصر من الثَّانية، و الحال؛ أنَّه كان من الأجدر بالمطلب أن يتضمَّنا أكثر مما جاء فيهما.

ثانياً: أنَّ كلا المدخلين متَّصفان بنقاط ضعف عديدة .. و هو الأمر المشهود في غالب تأليفات الغربييَّن بخصوص المعارف والتَّاريخ الإسلاميّ .. و لعلَّ من اهمِّ أسباب هذه الإشكالات؛ عدم إهتمام المسلمين و إعتمادهم آراء الغربييّن.

و ما هو مسلَّم أنَّ ولادتها [عليها السلام] المباركة كانت في المدينة المنوَّرة في السَّنة الخامسة الهجريَّة[1] أو في الخامس من شهر جمادي الأولىَ من السَّنة السَّادسة الهجريَّة[2] و أنَّ عبدالله

١. محمد باقر بور أميني، جهره هاي در حماسه كربلا (فارسي) قم، بوستان كتاب، ١٣٨٢ ش، ص ١٥٠.
٢. السَّيد محمَّد كاظم القزويني، زينب الكبرىَ من المهد إلَى اللَّحد (قم، ١٤٢٣ ق / ١٣٨١ ش، ٢٠٠٢ م) ص ٣١. و السَّيِّد عطاء الله مهاجراني، بيام آور عاشوراء: بررسي سيرزندكي، انديشه و جهاد زينب

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

بن جعفر لم يطلِّقها أبداً حتَّى توفيَّت .. و ليس مهمَّاً أين كان ذلك؛ في المدنيَّة أو دمشق أو القاهرة [مصر] و ذلك أنَّ هذه السَّيِّدة الصِّدِّيقة لم تكن من جنس الأرضيِّين، و إنَّما كانت إمرأة سماويَّة ملكوتيَّة .. كما هم سائر المعصومين من آل البيت النَّبوي المقدَّس .. و هي ـ لاشكَّ ـ ستبقىَ حاضرة في كلِّ مكان و في كلِّ لحظة و إلىَ منتهىَ التَّاريخ.

في هذه المقالة؛ لن تكون الإشارة إلىَ ردِّ و نقد المقالتين اللَّتين ذكرنا محتواها .. و لكن داعي نقلهما هنا ليس مجرَّد التَّرجمة، و أينما هو بمثابة إنذار، إنذار و تحذير لمحبِّي و عشَّاق حضرات الملكوتيِّين، أعني أهل البيت المعصومين عليهم السلام، ليعوا و يتأكَّدوا في أنَّ مظلوميَّتهم لم تقتصر علىَ عصر بني أميَّة أو بني العبَّاس، بل هي ممتدَّة علىَ مرِّ الأيَّام .. هذه المظلوميَّة العجيبة الَّتي أخذت منحين:

١) تحريف المثقَّفين المغرضين الجهَّال بالحقائق أو القليلي المعرفة أحياناً[١]

٢) عدم فعَّاليَّتهم و قلَّة إهتمامهم .. هؤلاء الَّذين يعيشون تحت مظلَّة شوقهم و محبَّتهم لآل البيت عليهم السلام .. و ليس لهم إلَّا التَّفاخر و المباهاة بهم.[٢]

و جبراً لشيء من مظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام في العصر؛ لابدَّ من إمتشاق القلم و الإفصاح عن الحقائق بمختلف لغات العالم .. و إنَّ توقُّع خطوة من الغرباء بهذا الصَّدد مضيقة للوقت و لايعدو أن يكون كهواء في شبك .. علىَ أمل الشُّعور و تحمُّل المسؤوليَّات الجسام من قبل النخبة المثقَّفة الَّذين يميِّزون أنفسهم و فنِّهم عن غيرهم .. و أن يعدّوا المساهمة في خدمة أهل البيت عليهم السلام فخراً لهم ...

كبرىَ (فارسي) الطَّبعة التَّاسعة، طهران، اطِّلاعات ١٣٨٣هـ ش، ص ٢٠.

١. يمكن أن يقع بعض المستشرقين في سوء الفهم لدىَ الاستنتاج، و لكن نظراً إلىَ جهدهم و متابعاتهم في المسائل العلميَّة و قلَّة إطِّلاعهم علىَ المسائل ذات الأهمية القليلة بالنسبة لهم .. و من هنا، يعد سلوكهم (تجاهلاً أكاديمياً) و إنَّ مراجعة سيرتهم و المستويات العلميَّة لكثير من المستشرقين يؤكِّد جدِّيَّتهم و حرصهم المحيِّر أحياناً لإهتمامهم ببعض الجزئيَّات .. و كمثال علىَ ذلك، تراجع كتب نجيب العقيقي (المستشرقون) آربري، (المقالات) و (شرق شناختي) و المطالعات العربيَّة ـ الإسلاميَّة) لبروكلمان و شرودر.

٢. كتب صاحب هذا المقال مقالاً آخر بهذا الصَّدد؛ (عاشوراء في بعض المصادر الإنجليزيَّة) ـ فصليَّة معرفة الشيعة رقم ٢١، ربيع ١٣٨٧ ش، ص ٥٩-٨٢.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

المصادر

١. المصادر المنقول عنها والتي بحثنا عنها نقداً.

Eposito, J.L., ed., The Oxford Dictionary of Islam, New York: Oxford University Press, 2003.

Glassé, C., ed., The concise Encyclopedia of Islam, 2nd ed. rev., London: Stacey International, 2001.

Hoffman, V.J., "Zaynab, Sayyida," in Jestice, ed., vol. 3, pp. 636–637.

Jestice, P.G., ed., Holy People of the World: A Cross–cultural Encydopedia, 3 vols, Santa Barbara, CA: ABC–CLIO, 2004.

٢. هذه المصادر، لم يكن فيها مدخل في هذا المضمار.

Bowker, J., ed., The Concise Oxford Dictionary of World Religions, Oxford: Oxford University Press, 2005.

The Encyclopedia Americana, International 4th ed., 2002.

Esposito, J.L., ed., The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 4 vols., New York: Oxford University Press, 1995.

Gibb. H.A.R. Islam, 2nd ed., Oxford: Oxford University press, 1975: repr. Hyderabad. A.P.: Henry Martyn Institute of Islamic Studies / Oxford University Press, 1979.

Gibb, H.A.R., and J.H. Kramers, eds., Shorter Encyclopedia of Islam, Leiden: EJ Brill, 1953.

Hughes, T.P., Dictionary of Islam, London: W.H. Allen. 1885; repr.: New Delhi: Munshiram Mansharlal, 1999.

Lewis, B., ed., Islam: Faith, People, Culture, London: Thomas and Hudson, 1976; repr. paperback ed., 1992.

The New Encyclopaedia Britannica, Micropaedia, 15th ed., 1994.

Ruthven, M., Islam, Oxford: Oxford University Press, 2001.

Van Donzel, E., ed., The Islamic Desk Reference, Leiden: EJ. Brill, 1994.

٣. مصادر أخرى

العقيقى، نجيب، المستشرقون، طعبة رابعة موسّعة: ٣ مجلدات، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.

Arberry, A.J. Oriental Essays: Portraits of Seven Scholars, London: George Allen and Unwin, 1960.

Brugman, J., and F.Schröder, Arabic Studies in the Netherlands, Leiden: E.J. Brill, 1979.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]